الرسالة

(رومية ١٣:١١–١٤؛
١٤: ١–٤)

يا إخوةُ إنَّ خلاصَنا الآنَ أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلنَدَعْ عنَّا أعمالَ الظُلمةِ ونلبسْ أسلِحَةَ النورِ* لنَسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُكرِ ولا بالمضاجعِ والعَهَرِ ولا بالخصامِ والحَسدِ* بل البسوا الربَّ يسوعَ المسيح ولا تهتمُّوا بأجسادِكم لقَضاءِ شَهواتِها* مَن كانَ ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراءِ* مِنَ الناسِ مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضَّعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يَزدَرِ الذي يأكُلُ من لا يأكُلُ ولا يدِن الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قدِ اتَّخذهُ* مَن أنتَ يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّهُ لِمولاهُ يثبُتُ أو يَسقُطُ. لكنَّهُ سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادِرٌ على أن يُثبِّتَهُ.

أحد مرفع الجبن

في هذا الأحد، أحد مرفع الجبن المسمّى أحد الغفران، الذي هو آخر آحاد التهيئة قبل الإنطلاق في رحلة الصوم الكبير، نصنع في الكنيسة تذكار نفي آدم وحواء من الفردوس، وكأننا بالكنيسة تريد أن تقول لنا في بداية هذه الرحلة الروحية ان هدفها هو استعادة جنسنا البشري إلى الفردوس المفقود. كما تعلّمنا ان مغفرة زلّات بعضنا البعض هي الشرط الأساسي للعودة إلى حديقة الآب.

العدد ٩ / ٢٠١٧
الأحد ٢٦ شباط
أحد مرفع الجبن (الغفران)
تذكار أبينا الجليل في القديسين
بورفيريوس أسقف غزّة
اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الثالث

إنّ قصة طرد آدم وحواء من الفردوس، الواردة في سِفر التكوين، تُخبر عن أكبر حَدَث مأساوي في تاريخ البشرية: تمرّد المخلوق على الخالق وتحوّل العالم من جنّة مع الله إلى بقعة يسودها الفساد. في قصة التكوين المليئة بالمعاني اللاهوتية والروحية لم يقل الله لخليقته: «كُل من الشجرة وسوف أقتلك». بل قال: «يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك ٢: ١٧). وكان اسم هذه الشجرة، شجرة معرفة الخير والشر. والمعرفة في الكتاب المقدس هي نتاج خبرة حياة معاشة. للأسف، خبرة آدم وحواء كانت خبرة شريرة. كيف؟ يرد في سِفر التكوين انه بعد الحديث بين الحية وحواء، «رأت المرأة ان الشجرة **جيدة** للأكل وانها **بَهجَةٌ** للعيون، وأن الشجرة **شهيَّة** للنظر» (٣: ٦). لم ترَ المرأة في الثمر غذاءً لإستمرار الحياة، بل رأت اللذّة والشهوة في هذا الطعام، فصارت عبدة لشهوتها. هذه النظرة الشريرة ظهرت في تصرفات آدم وحواء بعدما أكلا الثمرة. يقول الكتاب: «انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان» (تك ٣: ٧). لقد كانا عاريين قبل الأكل ولم يكن الأمر يخجلهما، ولكن بعد تحكُّم الشهوة والغريزة والشر بهما علما أنهما عريانان وخجلا «فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر» (تك ٣: ٧). إذاً، قصة الأكل من ثمر الشجرة هي قصة لاهوتية تعبّر عن مدى اختبار الإنسان للشر في حياته وبالتالي ابتعاده عن الله. الإنسان أبعد نفسه عن الله إذ أراد أن يصير إلهاً، كما أغوته الحية (تك ٣: ٥)، بعيداً عن الله. هكذ نحن، عندما نخطئ نقتدي بآدم وحواء القديمين،

ونشابههما في التمرد على الله. نصغي إلى الحية الشريرة بدل الإصغاء إلى الله ونقوم بكل ما نقوم به ونختبر الشر بأنفسنا وإرادتنا، ونفسد عقلنا وروحنا.

في بدء الصوم الكبير نصنع تذكار طرد آدم وحواء من الفردوس لنتذكر المكان الهدف الذي يجب أن نسعى إلى العودة إليه. كلمة خطيئة في اللغة اليونانية تعني حرفياً «أخطأ الهدف». الصوم الكبير يهدف إلى إعادة تصويب هدف حياتنا عبر الإمتناع عن الأطعمة الشهية واللذيذة، دلالة على امتناعنا عن الخطيئة والشر، وتوقفنا عما يدمّر حياتنا والبشرية معنا. من هذا المنطلق إذا كان الأكل في القديم هو التعبير عن ابتعادنا عن الله (معرفة الشر)، فإن الصوم في العهد الجديد هو تعبير عن اقترابنا من الله (معرفة الخير)، وبالتالي الصوم عن الأطعمة **يجب** أن يتلازم مع حياة روحية مسيحية حقة. أي يجب أن يكون فعلاً تعبيراً عن «خبرة معرفة الخير» الإلهي. لا ينفع الإنسان أن يمتنع عن بعض الأطعمة ولا يعيش بحسب وصايا الله. لذا تدعونا الكنيسة اليوم على لسان بولس الرسول إلى الدخول في روحانية الصوم الحقيقية أي أن يترافق امتناعنا عن الطعام مع السلوك اللائق: «قد تناهى الليل واقترب النهار فلنَدع عنا أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلكن سلوكاً لائقاً كما في النهار، لا بالقصوف والسكر ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع ولا تهتموا بأجسادكم لقضاء شهواتها» (رو ١٣: ١٢–١٤).

إذاً، الدعوة صريحة في الصوم الكبير أن نلبس الرب يسوع، أن نلبس الإنسان الجديد الصائر على صورة خالقه. هذا يعني بحسب الرسول بولس: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح. كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء واسلكوا في المحبة كما أحبّنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحةً طيبة (أف ٤: ٣٢، ٥: ١–٢). أن نلبس الرب يسوع يعني أن نتمثّل به، أن نقتدي به أي أن نحب ونسامح ونغفر كما هو أحبنا وسامحنا وغفر لنا لما كنا وما زلنا خطأة: «إذ الجمع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبرّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣: ٢٣–٢٤).

إذا كان الصوم هو بداية رحلتنا نحو استعادة الفردوس المفقود بواسطة صليب الرب وقيامته من بين الأموات، وبما أن الغفران والمسامحة والمحبة المضحية التي تجعل الإنسان كاملاً في يوم الرب (١ كور ١٣: ١٠)، هي عمل الله الخلاصي المُتمَّم على الصليب، يكون الغفران هو الشرط الأساسي لصيام مثمر ومقبول، لنحصل على ثمار عمل المسيح على الصليب. لذلك رتبت الكنيسة أن نقرأ هذا الأحد المقطع الإنجيلي (مت ٦: ١٤–٢١) الذي يبتدئ بقول الرب «إن غفرتم للناس زلاّتهم يغفر لكم أبوكم السماوي أيضاً، وإن لم تغفروا للناس زلاّتهم فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاّتكم»، ثم يأتي الحديث عن مبادئ الصوم. إذاً، الغفران يسبق الصوم. إذا كان الصوم يهدف إلى استعادتنا إلى فردوس آدم وحواء قبل السقوط، فإن شرط الصوم الصالح هو الغفران. وحده الغفران بيننا نحن

الإنجيل

(متى ٦: ١٤–٢١)

قال الربُّ إن غفَرتُم للناس زلَّاتِهم يغفِرْ لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفِروا للناسِ زلاَّتِهم فأبوكم أيضاً لا يغفِرُ لكم زلَّاتِكم* ومتى صُمتم فلا تكونوا مُعبّسين كالمرائين. فإنَّهم يُنَكّرون وجوهَهم ليظهروا للناس صائمين. الحقَّ أقولُ لكم إنَّهم قد أخذوا أجْرَهم* أمَّا أنتَ فإذا صُمتَ فادهَنْ رأسَكَ واغسِلْ وجْهَك لئلَّا تظهرَ للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخِفْية. وأبوك الذي يرى في الخِفْيةِ يُجازيكَ علانيةً* لا تكْنِزوا لكم كُنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السوسُ والآكِلَةُ ويَنْقُبُ السارقون ويسرِقون* لكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماءِ حيث لا يُفسِدُ سوسٌ ولا آكِلَةٌ ولا يَنْقُبُ السارقون ويسرقون* لأنَّهُ حيث تكون كُنوزُكم هناك تكونُ قلوبُكم.

تأمل

حقاً، أيّها الإخوة الأعزّاء، ليس في وسع أحدٍ قط أن يُعفي نفسه من محبّة أعدائه. من الممكن أن يقال لي: «إنّي لا أستطيع الصوم، ولا أستطيع الصلاة طوال الليل». ولكن، هل يمكن أن يقال: «لا أستطيع أن أحبّ»؟ يمكن القول: «إنّي لا أستطيع بذل كلّ أموالي للفقراء وخدمة الله في دير». ولكن، لا يمكن القول: «إنّي لا أستطيع أن أحبّ». تقول لي: «لا أستطيع أن أحرم نفسي من الخيرات واللحوم». أصدّقك، ولكنّي لا أصدّقك البتّة لو قلت لي إنّك عاجز عن المغفرة لمن أساء إليك. بل ليس لدينا أيُّ عذرٍ لعدم قيامنا بذلك، سيّما وأنّا ملزَمون بتأدية هذه الصدقة مخرجين إياها لا من مخزننا وإنّما من قلبنا. عليه، فلنحبْ لا أصدقاءنا فحسب، بل أعداءنا أيضاً. قد تقول لي: «لقد كبّدني عدوّي الكثير من الألم بحيث لا يمكنني أن أحبّه على الإطلاق». إذاً، أتنظر إلى ما صنعه بك إنسانٌ ولا تنظر إلى ما صنعتَه أنت تجاه الله؟ إفحص ضميرك بحرص، فتجد أنّك اقترفتَ أخطاءً تجاه الله أكثر بكثير الخطأة هو العلامة الحقة لمحبتنا بعضنا لبعض. الغفران هو التعبير الوحيد عن المحبة في هذا العالم الساقط. إذا أردنا أن يحبنا الله ويغفر خطايانا يجب أن نحب بعضنا بعضاً ونغفر لبعضنا البعض. لقد وُجد موسم الصيام لهدف سام: أن نُعبِّر عن محبتنا لبعضنا من خلال المغفرة.

مديح والدة الإله

تدخل الكنيسة المقدسة غداً في مسيرة روحية تتجه نحو قيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات. فعلى مدى الأربعين يوماً، تُكثِّف الكنيسة صلواتها داعية المؤمنين إلى الإستعداد لمعاينة القيامة عبر الصوم والصلاة والتوبة. لذا تقيم الكنيسة مساء كل يوم صلاة النوم الكبرى، المعروفة لدى المؤمنين بصلاة «يا رب القوات»، ومساء كل يوم جمعة خدمة مديح والدة الإله الذي لا يُجلس فيه. الصوم الأربعيني المقدس هو مسيرة جهاد ضد الخطيئة نستعد خلالها لإستقبال عيد القيامة.

وقد كان لقبول العذراء مريم لمشيئة الله الآب، بأن تصير أماً لسيد الخليقة، دوراً أساسياً في تحقيق الخلاص لكل البشرية. لذلك ترتل الكنيسة خدمة المديح عربونَ شكرٍ لها لمساهمتها في خلاصنا الذي سوف نحياه في عيد الفصح المبارك.

مديح والدة الإله هو عبارة عن منظومة شعريَّة تتناول موضوع بشارة العذراء وتجسد الكلمة. يتألف من مقدمة أساسية: «إن غير المتجسد لما أَخذ في معرفته ما أُمر به سرياً»، ومن أربعة وعشرين بيتاً يبدأ كلٌ منها بأحد أحرف الأبجدية اليونانية بالتدرّج. تتميز خدمة المديح بلازمتين: الاولى «افرحي يا عروساً لا عروس لها» بها تُنهى الأبيات المفردة العدد، والثانية «هللويا» تنهي الأبيات المزدوجة العدد. في الأبيات الإثني عشر الأولى تتأمل الكنيسة في سر التجسد الإلهي، منذ ولادة الطفل يسوع حتى إدخاله إلى الهيكل في اليوم الأربعين، وفي الأبيات الإثني عشر الثانية نتأمل في سر التجسد والخلاص الذي حصل بالعذراء مريم.

ان تلاوة الأبيات هذه مقسمة إلى أربعة أقسام بحيث تتلى ستة أبيات مساء كل يوم جمعة من الأسابيع الأربعة الأولى من الصوم، وتُتلى جميعها في الأسبوع الخامس.

تعود الكنيسة مع البيت الأول من المديح إلى بداية العمل الخلاصي، منذ بشارة والدة الإله بالحبل بيسوع المسيح، وبهذا يبدأ البيت الأول «إن الملاك المتقدِّم أُرسل من السماء ليقول لوالدة الإله افرحي». هنا إشارة واضحة الى الملاك جبرائيل المتقدِّم بين الالوف من الطغمات الملائكيَّة، وهو الذي أُرسل من السماء ليبشِّر والدة الاله مريم بأنَّها ستلد المسيح بقوة الروح القدس وحلوله عليها. استوحى ناظم خدمة المديح (معظم النقّاد يرجحون أن يكون القديس رومانوس المرنِّم) هذا البيت من انجيل لوقا الذي يقول: «وفي الشهر السادس أُرسل الملاك جبرائيل من قِبَل الله الى مدينة في الجليل تسمى ناصرة إلى عذراء مخطوبة...» (لو١: ٢٦ – ٣٨) والحوار الذي تم بين مريم والملاك جبرائيل الذي إنتهى بقبول العذراء لبشارة الملاك بقولها: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك» (لو١: ٣٨). وقد كان الملاك

جبرائيل قد ظهر للكاهن زكريا ليقول له إن إمراته العاقر اليصابات ستلد ولداً «فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سُمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا» (لو ١: ١٢ – ١٣).

في البيت الثاني تتأمل الكنيسة في جواب العذراء مريم للملاك «إن القديسة لما رأت ذاتها في غاية النقاوة قالت لجبرائيل بجرأة...». تدعى مريم العذراء قديسةً لطهارتها من كل عيب. يُختم هذا البيت وسواه من الأبيات التالية بعبارة «هليلويا» العبرانية التي تعني «سبّحوا الله» وقد وردت بكثرة في العهد القديم. أمّا في البيت الثالث، فقد كُشف للعذراء عن السر الرهيب، سر تجسّد الكلمة من خلال ولادته منها». إن البتول التمست أن تعلم عِلم ما لا يُعلم فهتفت نحو الخادم قائلة: قل لي كيف يمكن أن يولد من أحشاء نقيَّةٍ ابنٌ، فأجابها ذاك بخوفٍ صارخاً هكذا: إفرحي يا حافظة سر التدبير الذي لا يوصف؛ إفرحي يا إيماناً يستلزم الصمت، إفرحي يا مقدَّمة عجائب المسيح، إفرحي يا رأس أوامره...». الملاك خاف أمام هذا السر الرهيب: «يا رب إني سمعتُ سماعك ففزعتُ» (حبقوق ٣: ٢). العذراء هي السلَّمُ التي رآها يعقوب، وهي التي ولدت النور بعد أن كان الظلام قد أظلم الأرض بخطيئة الإنسان وابتعاده عن الله. لنصل في البيت الرابع إلى حقيقة تجسد الكلمة من العذراء مريم بحلول الروح القدس عليها: «إن قوّة العلي ظلّلت حينئذ عند الحبل العادمة الزواج وأوضحت حشاها الحسن الثمر»، وهذا ما قاله الملاك للعذراء عن كيفيَّة الحبل «إن الروح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظللّك لذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥).

البيت الخامس يخبرنا عن زيارة مريم لنسيبتها أليصابات الحامل بيوحنا المعمدان. نرى هنا انقضاء العهد القديم مع ولادة يوحنا «وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى، لأنك تتقدّم أمام وجه الرب لتُعدَّ طرقه، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء، ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام» (لو ١: ٧٦–٧٩). يوحنا المعمدان هو خاتمة أنبياء العهد القديم، وبداية العهد الجديد في ولادة يسوع المسيح من مريم العذراء.

ينتهي الدور الأول بالبيت السادس حيث نقرأ عن اضطراب يوسف العفيف خطيب العذراء مريم عند سماعه بحبلها، ولم يطمئن له بال إلا حين ظهر له الملاك في الحلم وأنبأه بقضاء الله الأزلي بأن يرسل الفادي إلى العالم مولوداً من مخطوبته مريم: «إن يوسف العفيف لما رآك أيتها البريئة من العيب عادمةً للزواج، ارتاب منذهلًا في داخله من أفكارٍ مضطربةٍ، ظاناً أنَّك مُختَلَسةٌ مباشرةٌ، لكنّه لما عرف أنَّ حبلك هو من الروح القدس صرخ هللويا».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

ممّا اقترفه إنسانٌ تجاهك ولم تُصلحها، ثم ترى مدى الوقاحة في رغبتك أن يغفر الله لك الكثير فيما لا تقبل أنت أن تغفر القليل...

يحدّد الرب شروط غفرانه في إلزامه إيّانا أن نترك لمديننا ما لنا عليهم، كما نطلب نحن بأن يُترك لنا ما علينا. نحن لا نستطيع أن نطلب مغفرة خطايانا إلّا إذا تصرّفنا بالمثل تجاه مدينينا. والله إنّما يأمرنا بحفظ السلام والوئام في بيته، وبالعيش وفقاً لنواميس الولادة الجديدة؛ وإذ أصبحنا أبناء الله علينا صون كلام الله. فلا بد من أن تطابق وحدةَ «الروح» وحدةُ النفوس والقلوب. ذلك أن الله لا يقبل الذبيحة من المحرِّضين على الشقاق، بل يُرجعهم من المذبح ليتصالحوا وإخوتهم أولاً، إذ يريد الله أن يسالَم بصلوات سلام. فالقربان الأفضل الذي نقدّمه لله إنّما هو سلامنا، وئامنا، ووحدة الشعب المؤمن بأسره في الآب والإبن والروح القدس.

القديسان كيساريوس
وكبريانوس